



شهدت الأيام الماضية أحداثاً غير مسبوقة لجهة ترسیخ حزب الله اللبناني سيطرته على سوريا، بالتزامن مع وقائع تظهر أيضاً مدى تجدر الهيمنة الروسية، وتحول أركان النظام السوري إلى ما يشبه الأتباع. الحادثة الأولى تتمثل في الاستعراض العسكري الذي قيل إن حزب الله نفذه في مدينة القصیر السورية على حدود لبنان الشرقية.

ولم يصدر الحزب اللبناني أي بيان رسمي بهذا الشأن، لكن صور عشرات المدرعات والآليات الخفيفة، التي لم تحمل تاريخاً مُحدداً، أتت كإعلان غير رسمي عن هذا الاستعراض الأول من نوعه منذ العدوان الإسرائيلي على لبنان في يوليو/تموز عام 2006، وامتنع الحزب منذ ذلك التاريخ، لأسباب أمنية، عن تقديم عروض عسكرية كانت تقام ب بصورة سنوية في "يوم القدس العالمي" الذي أعلنه المرشد السابق للجمهورية الإسلامية في إيران، روح الله الخميني.

ضرب السيادة:

يُقدم الخبير العسكري والعميد المتقاعد في الجيش اللبناني، نزار عبد القادر، قراءته لهذا الاستعراض من النواحي السياسية والجغرافية والعسكرية، ويرى في حديث لـ"العربي الجديد" أن "استعراض القوة هذا يضرب سيادة بلدين في آن معاً: سوريا ولبنان، كما يُكسر حالة الفتان العسكري على الحدود المشتركة بين البلدين"، ويضيف الخبير العسكري أن "الرسائل السلبية للاستعراض تجاه لبنان هي في النيل من سمعة الجيش اللبناني ومن سيادة الدولة على أراضيها وحدودها، وما ينطبق على لبنان ينطبق على سوريا أيضاً".

كما يصف عبد القادر "مجاهرة حزب الله بوجوده العسكري بهذا الشكل بالتفلت الذي يحمل رسائل سلبية للرأي العام المؤيد لوجود الحزب على الأراضي السورية كحليف فقط، وليس كتشكيل عسكري نظامي ينافس الجيش السوري في الانتشار والسيطرة"، ومع منح الحزب لنفسه حق تجاوز الحدود وإقامة قواعد عسكرية على طول الحدود اللبنانية السورية

تحت عنوان "مكافحة الإرهاب"، يؤكد الخبير نفسه أن "استمرار هذه الحالة يُعرض لبنان وسوريا للمساءلة الدولية".

وإلى جانب مكان الاستعراض الذي يحمل رمزية كبيرة لـ"حزب الله"، نظراً لكون معركة مدينة القصرين التي جرت عام 2013، هي أول وأكبر معركة خاضها مقاتلو الحزب في سوريا وكانت محافظة البقاع اللبناني قاعدة خلفية له، سُجّل عبد القادر مجموعة ملاحظات على نوعية العتاد العسكري الذي تم استعراضه.

ويعتبر أن "مشاركة ناقلات جند مدرعة أميركية من طراز M113 تُشكل مفاجأة للمراقبين، خصوصاً أن هذه المدرعات لم تظهر في أي من معارك حزب الله السابقة لا في الجنوب اللبناني ضد إسرائيل ولا في سوريا ضد مختلف المجموعات المسلحة"، والجدير ذكره أن هذه الآليات، وعلى الرغم من قدمها، تُشكل العمود الفقري لسلاح المدرعات في الجيش اللبناني بعد تلقيه المئات منها على سبيل الهبات من الجيش الأميركي.

صوارييخ:

وقد تمكّن تنظيم "فتح الشام" (جبهة النصرة سابقاً) من اغتنام عدد قليل منها بعد معركة عرسال في تشرين الأول/أكتوبر عام 2014، وإلى جانب المدرعات الأميركيّة، لفت نظر عبد القادر "كميّة الصوارييخ الموجهة التي أشركها الحزب في استعراضه، والمعروضة على دراجات رباعية مموهة، وهي صوارييخ خفيفة قادرة على إصابة أهداف حتى مسافة تتراوح بين 3 و 5 كيلومترات"، وسبق لجهاز "الإعلام الحربي" في الحزب الذي يُعطي سير المعارك في كل من سوريا والعراق واليمن، أن نشر مجموعة فيديوهات تظهر استخدام هذه الصوارييخ ضد أهداف ثابتة ومتّحركة تابعة لفصائل المعارضة السورية. وإذا كان استعراض القصرين بمثابة رسالة وجهها حزب الله للدّلالة على عمق نفوذه ومتانة سلطته في سوريا، فهناك حادثة ثانية شهدتها هذا البلد في الآونة الأخيرة وثقتها تسريبيات مسجلة تظهر تأدية ضابط برتبة رفيعة في جيش التحية العسكرية للأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله، حادثة يرى فيها كثيرون أنها تقدّم دليلاً آخر على أن رئيس النظام بشار الأسد لم يعد يفرض سيطرة حقيقة على ضباطه الذين تحولوا لـ"أوغلهم" إلى القاعدة الروسية في حميميم، أو إلى قيادات حزب الله والحرس الثوري الإيراني.

ونشرت صفحات موالية للنظام على موقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك" مقطع فيديو يظهر فيه معاون رئيس اللجنة الأمنية والعسكرية في حلب، العميد نبيل عبدالله، وهو يوجه "تحية كبيرة نابعة من القلب" لـ"نصر الله على "الدعم غير المحدود" الذي يقدمه لجيش النظام ضمن معارك حلب، في تأكيد واضح على أن قوات الأسد عاجزة عن التقدّم في جبهات القتال هناك، لولا قوات هذا الحزب اللبناني، وأنهى عبدالله حديثه بتأدية التحية العسكرية لـ"نصر الله" في تصرف يدلّ على أن انتقامه وتبعية ضباط جيش النظام بات موزعاً على العديد من الجهات منها إيران وروسيا.

تآكل هيبة جيش الأسد:

ولم يكن تصرف عبدالله جديداً على ضباط قوات نظام الأسد؛ ففي حادثة ثالثة تشير إلى مدى تآكل هيبة جيش النظام، أدى العقيد سهيل الحسن، أكثر ضباط جيش النظام دموية وشراسة، والملقب من مؤيدي النظام بـ"النمر"، التحية العسكرية لضابط روسي في قاعدة حميميم العسكرية على الساحل السوري، بعد منحه وساماً روسيّاً رفيعاً بداية العام الجاري، كما قلّدت وزارة الدفاع الروسية رئيس فرع الأمن العسكري في حماة، العميد الركن، مازن الكنج، منذ أيام، وساماً رفيعاً، ومنحت قياديين في مليشيات طائفية أوسماً، نظير ما قاموا به من أعمال قتل وتهجير طيلة سنوات.

ويؤكد الضابط في "الجيش السوري الحر"، النقيب مصطفى معراتي، أنه لم يعد هناك جيش نظامي في سوريا "بعدما انشق وقتل أغلب ضباطه وعناصره على مدى سنوات"، مضيفاً في حديث مع "العربي الجديد" أن "من بقي من الجيش بات مليشيات تقاتل قوات المعارضة السورية إلى جانب مليشيات طائفية وحزبية، تتحرك تحت غطاء ناري من الطيران الروسي". واعتبر أن قيام ضابط برتبة عميد بتأدية التحية لما سماه "ذراع إيران في الشرق الأوسط" هو بمثابة "مهزلة كبرى"،

مشيراً إلى أن التحية العسكرية تؤدي للعلم والرؤساء فقط، معتبراً عن قناعته بأن العميد عبدالله يؤكد من خلال فعله أنه يعتبر نصر الله رئيسه وليس بشار الأسد.

وليس هناك أرقام مؤكدة عن عدد القتلى في جيش النظام منذ بدء الثورة السورية، لكن المبعوث الرئاسي الأميركي ولد برهان الدين أكمل ملخصاً في تصريحاته بأن هناك نحو 3000 ضابط، أعلناً انشقاقهم عن جيش النظام طيلة السنوات الماضية، وأن قوام قوات النظام، كان حتى بداية الثورة، نحو 50 ألف ضابط، 80 بالمائة منهم ينتمون للطائفة العلوية.

ومع بداية عام 2013، زاد اعتماد النظام على المليشيات الطائفية، بعدما بات جيشه وأجهزته عاجزين عن حمايته أمام تقدم "الجيش السوري الحر" وانتزاعه السيطرة على مدن وبلدات في محافظات عدة، وفي ربيع 2013، بدأ جيش النظام يتربّص لا سيما في حمص ومحيطةها، مما هدد النظام برمته بالسقوط.

فتدخل حزب الله في مايو/أيار من تلك السنة، معلنًا بداية مرحلة جديدة في تاريخ سوريا، عنوانها الأبرز تحول جيش البلاد إلى مجرد مليشيات تكاد تكون هي الأضعف، بين عدد كبير من المليشيات الطائفية التي جاء مقاتلوها من لبنان، والعراق، وأفغانستان، وباكستان، ودول أخرى بإشراف وتمويل إيراني.

العربي الجديد

المصادر: